حدود النص في الدرس اللساني الغربي

أ/ : سهل ليلى

جامعة بسكرة

الملخص:

سنتناول بالدراسة في هذه الورقة البحثية مفهوم النص في الدرس اللساني الغربي ، لأننا وجدنا أن الدّراسات اللّغوية الحديثة تقوم على النّص الذّي يعدّ ممثّلا شرعيا للغة،لأنّه أرض خصبة لذلك، ويسمح تحليله بالانفتاح على نصّ متكامل، متّسق ومترابط يحتكم إلى علاقات معيّنة بين المتتاليات الجملية، وإلى آليات تصنع ترابطه الذي يستهوي القارئ، ويدعوه للولوج إلى عالمه العجيب المتناسق. فقد غدا النّص مجالا خصبا حيويا، لذلك ظهرت مدارس لغوية معاصرة كانت أحدثها المدرسة النّصية، والتي كان اهتمامها منصبّا على الجملة بوصفها الوحدة اللّغوية الكبرى، فتجاوزتها لتصل إلى وحدة أكبر متمثّلة في النّص.

The abstract : We will study in this paper a reality lesson westerly text, because we found that modern linguistics based text which is the legitimate representative of the language, because it's fertile ground, Open Analysis allows an integrated text, consistent and coherent relationships between governs total sequences, and the interdependent mechanisms make enticing reader, And invites him to access his world harmonic beats. It has become fertile text dynamically, so contemporary language schools appeared most were school texts, which was focused on major linguistic unity as a sentence, Which was focused on linguistic unity as a sentence, overtaken by going up to a larger unit in text.

إنّ مفهوم النص مفهوم إشكالي،لأنّ طابعه المتغيّر والمشكلات التي يتمظهر بها تجعل من تعريفه مهمة صعبة، وبوصفه سيرورة تواصلية، فإنّ العديد من أنماط التواصل تتنازع حوله، وتحاول أن تجرّه إلى حقلها وتوظيفها توظيفا إجرائيا. ونجد في الثقافة الفرنسية أنّ إشكال مفهوم النص يحيل على هذا التنازع بين اختصاصات مختلفة، حيث تحاول في اختصاص أن تستأثر بهذا المفهوم، وتجعل منه حجر الزاوية في مقارنته بالموضوع الذي يحلّله [1].وتختلف وجهات النظر في تعريف النص من اللغوي إلى اللساني إلى الناقد إلى المؤرخ إلى الفيلسوف إلى المفسر إلى اللاهوتي.

يشتق مصطلح "النص" "Texte " في اللغات الأجنبية من الفعل " Texture " الذي يعني يحوك أو ينسج، ويوحي بسلسلة من الجمل والملفوظات المنسوجة بنيويا ودلاليا[2].

إنّ المعاني اللغوية الأساسية للفظة "Texte" في الثقافة الغربية بصفة عامة والمستخلصة من المعاجم اللغوية الفرنسية بصفة خاصّة، تنحدر من الأصل اللاتيني "Textus"، وتعني بصفة عامة "النسيج" ،والورقة المطبوعة أو المكتوبة لوثيقة أو مؤلّف أصلي، أو هو مجموعة العناصر والعبارات التي تكوّن مكتوبا أو مؤلّفا، خلافًا لرؤوس الأقلام (Notes) أو التعليق (Commentaires). ومن ذلك النّصوص القديمة أو الكتب الأجنبية في لغتها الأصلية دون الترجمة. ويمكننا القول إنّ دلالة لفظة (Texte) في الثقافة الغربية على النسيج، هي أقرب من نظيرتها في الثقافة العربية إلى المعنى الاصطلاحي، كما أنّ لفظة "نسيج" في منشئها الصناعي المادي تحيل على الحياكة أو الغزل عبر خيوط ينضمّ بعضها إلى بعض انضماما قوامه التداخل والالتواء والترابط، مكوّنة لحمة وسدى قطعة النسيج المطلوبة، فإن النصّ هو نسيج من الكلمات تتشابك فيما بينها عبر تراكيب مختلفةٍ ، قوامها التضام والترابط،والتداخل والانسجام لتكوّن نوع

النص المطلوب، حيث يكوّن هذا الأخير سطحا ظاهريا، هو نسيج الكلمات المستعملة والموظفة فيه بشكل يفرض معنى قابلا للإدراك بصريا من خلال عملية الكتابة التي تجعل منه موضوعا مؤسسيا يتصل بالقانون والدين والأدب.(3)

لعلّ الارتباط الصحيح للفظ النص والنسيج بالكتابة،جعله يقترب من المعنى الاصطلاحي في الثقافة الغربية، توجيها كتابيا ارتبط بالنصوص الكتابية المختلفة التي كوّنت مرجعيتها الثقافية والحضارية، حيث استمدّت هذه الأخيرة أطرها من نصوص الفلسفة والأدب اليوناني ونصوص الإنجيل والتوراة ،ونصوص القانون الإغريقي. وفي المقابل تميّزت الثقافة العربية الإسلامية بطابعها الشفهي الذي ربطها بالرواية ،وأبعدها عن النصوص المكتوبة ردحا من الزمن، قبل مرحلة التدوين بصفة عامة، وتدوين النص القرآني بصفة خاصة، الأمر الذي جعل المعاني اللغوية للفظ النص لا تقترب كمثيلتها الغربية من بعض المعاني الاصطلاحية العامة إلا بالتأويل البعيد.

والمهمّة الصعبة التي يواجهها النقد المعاصر هي تحديد المصطلحات بدقة ورسم حدودها المنهجية، فإنّ هذا المفهوم يفقد طابعه الإجرائي ويتحوّل إلى مفهوم غائم[4]. وقبل تعريف هذا المفهوم وبحث كيفياته وصيغ تشكّلاته، يتعيّن علينا البحث في تاريخيته. فالنص صيغة من صيغ اشتغال اللغة، شكّل موضوعا للتحديد المفهومي في فرنسا، خلال سنوات الستينات حول مجلة (تال كال) « Tel Quel » مع "رولان بارثRolan barth " و" Jack drida جاك دريدا" و" Fillip sollers فيليب سولرز" وخاصة "جوليا كريستيفاjulia kristiva" [5]

والمفهوم الشائع للنص أنّه شكل لغوي يمتاز بطول معيّن، كأن يكون قصة أو رواية أو مقامة أو معلقة أو كتابا. ولكن الفكر النقدي المعاصر ضبط هذا المفهوم، ولم يربطه بالقياسات الشكلية الخارجية ،حيث يرى أن "النص" يمكن أن يتطابق مع "جملة"

كما يمكن أن يتطابق مع كتاب كامل، ويعرف باستقلاليته وانغلاقه...ويشكل نظاما مختلفا عن النظام اللغوي، ولكنه يوجد في حالة تعالق معه، علاقة تواجد وعلاقة مشابهة.

1/ مفهوم النص عند جوليا كريستيفاjulia cristiva:

ونجد قول الناقدة البلغارية "جوليا كريستيفا:" إنّ النص جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان عن طريق ربطه بالكلام التواصلي، راميا بذلك إلى الإخبار المباشر مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة والمعاصرة"[6]. فالنص أكثر من مجرّد خطاب أو قول، إنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية، بمعنى أنها مكوّنة بفضل اللغة، لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها، وبهذه الطريقة فإنّ النص جهاز عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرا إلى بيانات مباشرة ترتبط بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها، والنص نتيجة لذلك إنما هو عملية إنتاجية، إلا أنه لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تحويل لنصوص أخرى. حيث أخرجت تعريف النص من الإطار الشكلاني المغلق إلى فسحة المجتمع والتاريخ، مؤكدة على رسالته، وعلى علاقته بالنصوص الأخرى. وهو ما يسمّى بالتناص الذي أولته هذه الناقدة أهمية خاصة في دراساتها السيميائية. فتعريفها للنص على تشابكه قد ظفر باهتمام خاص لأنّه يطعن في كيفية النظر إلى السطح، ويبرز ما في النص من شبكات متعالقة[7]. فهي ترى أنّ النص أكثر من مجرد خطاب أو قول، إذ إنّه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية، بمعنى أنها مكوّنة بفضل اللغة، لكنّها غير قابلة للانحصار في مقولاتها، والنصّ الذي هو لوحة إنتاجية يعني أمرين:

1- علاقته باللغة التي يتموقع فيها، حيث تصبح من قبيل إعادة التوزيع عن طريق التفكيك وإعادة البناء مما يجعله صالحا، لأن يعالج بمقولات منطقية ورياضية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية.

2- يمثّل النص عملية استبدال من نصوص أخرى،أي عملية تناص. ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة، مأخوذة من نصوص أخرى، مما يجعل بعضها يقوم بتحديد البعض الآخر، وترتبط بهذا المفهوم فكرة النص،باعتباره وحدة أيديولوجية على أساس إحدى مشكلات البحث السيميولوجي، حينئذ تطرح التقسيم البلاغي القديم للأجناس الأدبية، لتحل محله عمليات تحديد لأنماط النصوص المختلفة بالتعرف على خصوصية الانتظام الذي يهيمن عليها ،ووضعها في سياقها الثقافي الذي تنتمي إليه.

2/ مفهوم النص عند "فان ديكVan-dijk":

ومن منظور لساني وظيفي تداولي يعرّف (فان ديك) النص بأنه" عبارة عن ممارسة نصية"[8] أي يصفه بأنه نتاج وأساس لأفعال وعمليات التلقي من جهة، وهو استعمال داخل نظام التواصل والتفاعل من جهة ثانية. فالنص عبارة عن بنية سطحية توجّهها وتحفّزها بنية دلالية عميقة، ويتصوّر البنية العميقة للنص بكونها(كلاّ منظما من التتابعات)،فهي تعرض البنية المنطقية المجردة للنص. وتعدّ البنية العميقة الدلالية للنص، بالنسبة لفان دايك أيضا نوعا من إعادة صياغة مجردة تتحدّد في النواة (البنية الموضوعية للنص)، ويقوده فهم البنية العميقة الخاصة بالموضوع إلى تجريد مفاده أنّه يمكن النظر إلى البنية العميقة للنص على أنّها خطة نصّ ما على نحو ما يبدو أنه يحدد سلوكنا من خلال خطط أساسية[9]، وإنّ افتراض بنية عميقة لنص ما يدعم حسب "فان ديك" الجوانب الآتية:

1- التماسك الدلالي للنصوص الذي يعدّ في رأيه ظاهرة تركيبية عميقة.

2- إمكانية اختصار نصّ في ملخص، في عنوان...الخ.

3- إمكانية تذكّر مضمون نصّ طويل (حتى دون استخدام الوحدات المعجمية للنص ذاته).

4- إمكانية كتابة نصوص مختلفة ذات بنية عميقة دلالية مطابقة (كما في أشكال المحاكاة تقريبا وفي المعالجة الدرامية أو السينمائية للرواية.

فإذا كان النص هو ما يتجاوز الجملة، أو هو مجموع البيانات النسقية التي تتضمّن الخطاب وتستوعبه، فإنه ينطلق من اعتبار اللسانيين الجملة أعلى وحدة قابلة للوصف اللساني، ولذا فهو يتناول كل جملة على حده، أو يأخذ متوالية من الجمل منظورا إليها كمركّب جملي، والنص ما هو إلا بنية كلية ذات موضوع، بمعنى أنه يدور في بؤرة محدّدة هي موضوعه، وإنّ كل الجمل الأخرى ما هي إلا شرح وتفسير وإعادة صياغة لتلك البؤرة. واستدل على سلامة فكرته بأنّ المتلقي بعد سماعه للخطاب أو قراءته للنص يسأل ماذا قال؟ هذا موضوع غير مترابط، ما العلاقة بين هذه وتلك؟ وهذا يؤكد أن المقصود هو إيجاد بنية كلية ذات موضوع[10].

يرى "فان دايك" أنّ النص أنموذج القضية ، وهي تتابع منتظم من قضايا يرتبط بعضها ببعض عن طريق تداخلها، حيث لا تقتصر العلاقات على القضايا المتجاورة فحسب، بل يتم التوصل إلى إيجاد روابط بين وحدات كبرى تتشكل من وحدات نصية صغرى، تربط بينها علاقات نحوية على المستوى الأفقي، وعلاقات دلالية منطقية على المستوى الرأسي[11]. كما ركّز "فان ديك" على مصطلحي الوحدات الصغرى والكبرى للنص، والنص في نظره مظهر دلالي، فهو يؤكد أنه يتعين علينا أن نأخذ في الاعتبار الوقائع الآتية:

1- للتمكن من إقامة الروابط بين القضايا المعبّر عنها بجمل النص المتتالية، على مستعمل اللغة أن يستعين بمعرفته للعالم، وهذا يعني أنه ينبغي له انطلاقا من مكتسباته المعرفية المخزونة في ذاكرته، أن يختار قضية أو أكثر، وأن يربط بالتالي بين قضايا النص.

2- إنّ الفهم الفعال لعناصر النص يكمن في ذاكرة عملية حسب مصطلح علم نفس المعرفة، وهذه الذاكرة لا تملك سوى طاقة محدودة.

ولنستطيع فهم نص معيّن علينا أن نقيم بين الجمل الطويلة الروابط الضرورية في الذاكرة العملية، ثم نحرّر هذه الأخيرة جزئيا من حمولتها، وندخل فيها مجددا معلومات جديدة، وعليه فإنّ المبدأ العام الذي يلعب دورا هاما في تخزين المعلومات النصية واستذكارها واسترجاعها، هو العملية البنيوية لهذه المعلومات، فإذا كانت قضية ما مرتبطة بقضايا أخرى كثيرة في الذاكرة من النص ذاته، أو مستمدة من معارف وتجارب سابقة، فإنّ قيمتها البنيوية ستكون أكبر، ويصبح استرجاعها حينئذ أسهل منالا[12].

3/ مفهوم النص عند هاليداي ورقية حسنHalliday, R. Hassan

ويرى" هاليداي ورقية حسن" أن كلمة "نص" "تستخدم في علم اللغة للإشارة إلى أي فقرة منطوقة أو مكتوبة مهما طالت أو امتدت ،والنص هو وحدة اللغة المستعملة، وليس محددا بحجمه... والنص يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة... والنص لا شك أنه يختلف عن الجملة في النوع"[13].وأفضل نظرة إلى النص أنه وحدة دلالية، وهذه الوحدة ليست شكلا، لكنها معنى، لذا فإنه – أي النص- يتصل بالعبارة أو الجملة بالإدراك لا بالحجم، غير أنهما أضافا حيثيات أخرى في تعريف النص فيقولان: "نحن نستطيع تحديد النص بطريقة مبسطة بالقول ،إنه اللغة الوظيفية. ونعني

بالوظيفية –اللغة التي تفعل أو تؤدي بعض الوظائف في بعض السياقات– لذا فأي مثال من لغة الحياة يؤدي دورا أو بعض الأدوار في سياق الحال سوف نطلق عليه نصا، وهذا ينبغي أن يكون منطوقا أو مكتوبا أو بالفعل بأي وسيلة أخرى للتعبير أو التفكير بها، والنص أساسا وحدة دلالية والنص إنتاج وعمليات، والنص تبادل المعنى بين المشاركين في الحديث والحوار"[(14)].

أضافا في التعريف الثاني ارتباط النص بالسياق، فالسياق إذن يؤدي دورا بارزا في تفسير النص، كما أضافا أمرا جديدا. وهو أن النص لا ينبغي أن يكون بالضرورة مكتوبا أو منطوقا فقط، بل بالفعل بأي وسيلة أخرى من وسائل التعبير، وهذا يفرض سؤالا، هل لغة الإشارة بأي عضو من أعضاء الجسم تعد نصا؟

رأى كل من "هاليداي ورقية حسن" أنّ النص وحدة لغوية في طور الاستعمال، وهما يركّزان على الوحدة والانسجام في النص من خلال الإشارة إلى كونه وحدة دلالية لها ثلاث وظائف، هي: الوظيفة التجريبية التي تبرز في مضمون الاستعمال، والوظيفة التواصلية التي تتصل بالبعد الاجتماعي بين الأشخاص كوظائف اللغة التعبيرية، وفيها يتم تحديد زاوية المتكلم ووضعه وأحكامه وتشفيره، والوظيفة النصيّة التي تتضمّن الأصول التي تتركّب منها اللغة لإبداع النص كوحدة دلالية[(15)]. وهكذا فإن كل مقطع لغوي له وحداته الدلالية وانسجامه في سياق مقام معين يشكل نصا.

وفي قول "هاليدايHalliday":"إنّ النص وحدة لغوية في طور الاستعمال"، ما يعنيه أن الوحدة اللغوية هنا، ليس الوحدة النحوية التي أساسها الجملة أو شبه الجملة، وإنّما هي الوحدة الدلالية التي قد يكون أساسها الكلمة أو الجملة والعمل الأدبي بكامله. لذلك نجد أنّ النص عنده لا يتألّف من الجمل، ولكنّه يتحقق بواسطتها ويرجع السبب

في ذلك حسب "هاليداي" إلى أنّ القارئ / المستمع يمكنه فك الشفرة النصية مادام النص وحدة دلالية، وهذه الوحدة هي أساس العمل الأدبي.

4/ مفهوم النص عند رولان بارت Roland Barthe":

أما "رولان بارت " فقد أفاد من تحليلات "كريستيفا" للنص وطوّر من خلالها رؤيته له، ليستنتج من تعريفها المشار إليه آنفا تعريفا أوسع وأشمل، حدّده بأنه "عبارة عن ممارسة دلالية، تعيد للكلام طاقته الحيوية الفاعلة، وينهض بها فاعل متعدد الجوانب، وهذا يقتضي أنّ النص عبارة عن إنتاجية مستمرة العطاء، وليس منتجا أو مجرد منتوج عمل، إنّه الساعة ذاتها التي يتّصل فيها الفاعل (كاتب النص) بقارئ النصّ أو متلقيه، لذلك فهو يعتمل طول الوقت ولو كان مثبتا (مقيدا بالكتابة) ،فإنّه لا يكفّ عن الاعتمال وعن تعهد مدارج الإنتاج[16]، وما يعتمل في النص حسب "بارت" هو لا شيء سوى اللغة، فاللغة تعتمل في النص من حيث إنّه يفكّك لغة الاتّصال ولغة التمثيل ،ويعيد بناء لغة أخرى ذات حجم، لكن دون عمق أو سطح.

كما يؤكّد "رولان بارت.Barthe " أنّ النصّ إنتاج، حيث يدخل دائما القارئ في الاعتبار، فقد أعدّ النص نسيجا وحجابا جاهزا يكمن وراءه المعنى مختفيا فيقول: "فإنّنا سنشدد داخل النسيج على الفكرة التوليدية القائلة إنّ النص يتكوّن ويضع نفسه من خلال تشابك مستمر، ولو أحيينا عمليات استحداث الألفاظ لاستطعنا أن نصف نظرية النص بكونها علم نسيج العنكبوت"[17]. فهنا شبّه "بارت Barthe" النص بالنسيج الذي منه يحصل حجاب جاهز، ولباس نلبسه فيسترنا ونتخفّى فيه، ويصبح جزءا من شخصيتنا، لأنّ النص هو أيضا منتوج لعملية الترابط المستمر، والانسجام والتماسك التي يقيمها الناص أو الكاتب للكلمات، والجمل والمعاني، والتي تعطينا في النهاية

نصا، كما تعطي العنكبوت شبكة من ذاتها. فالناص يعادل أو يوازي العنكبوت في هذا التعريف، والشبكة توازي أو تعادل شبكة الكلمات والجمل والمعاني التي تؤلّف النص.

كما يعد "رولان بارت" النص إنتاجية شأنه شأن ما ذهبت إليه "جوليا كريستيفا" حيث يقول: "النص نشاط وإنتاج... النص قوة متحوّلة تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها لتصبح واقعا يقاوم الحدود وقواعد المفهوم والمعقول، إنّ النص وهو يتكون من حقول منتظمة وإشارات وأصداء لغات وثقافات عديدة تكتمل فيه خريطة التعدّد الدلالي، وإنّ النص منتوج ينتجه القارئ في عملية مشتركة لا مجرد استهلاك. هذه المشاركة لا تتضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجها في عملية دلالية واحدة، فممارسة القراءة إسهام في التأليف" [18].

يتّفق مفهوم "بارت" للنص اتفاقا شبه تام مع ما توصّل إليه من مفهوم النص في الثقافة العربية، فبعد أن سرد التعريف العام للنص من أنه السطح الظاهري للنتاج الأدبي، نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة، بحيث تعرض شكلا ثابتا ووحيدا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.[19] حيث يقول:" إنّ النص يشاطر الأثر الأدبي هالته الروحية (علو المصدر) وهو مرتبط تشكيلا بالكتابة (الظهور) وهو الذي يوجد الضمان للشيء المكتوب، جامعا وظائف صيانته، الاستقرار(التركيب والترتيب) واستمرار التسجيل الرامي إلى تصحيح ضعف الذاكرة، فالنص سلاح في وجه الزمان والنسيان (الثبات)، وفي وجه براعات القول، يستدرك ويخلط (الاختصار) ويتنكر بسهولة تامة، وهو مرتبط تاريخيا بعالم بأكمله من النظم في القانون والدين والأدب والتعليم (الاستقصاء التام)، إذ هو موضوع أخلاقي، أي الكتابة حين تشارك في العقد الاجتماعي، إنه يفرض نفسه ويطالب بأن نحترمه" [20].

إذن كان "بارت" يزعم أن جمالية اللذة في النص المنسوج هي الكتابة ذات الصوت العالي، أو هي كتابة متعالية الصوت. فإن النص هو نسج أنيق من الألفاظ الصامتة التي تحمل المعاني في ذاتها، فهو كتابة كأنها السحر[21]. ويخلص "بارت" في الأخير إلى القول عن النص : "إنه في محصلته النهائية عبارة عن تناص، وكل نص ليس سوى نسيج من استشهادات سابقة ،وهو ما أعطى أصوليا نظرية النص جانبها الاجتماعي ،إذ الكلام كله سالفة أو حاضرة، وإنما يصبّ في بحر النص، لكن ليس وفق طريقة متدرجة معلومة، ولا بمحاكاة إرادية، بل وفق طرائق متشعبة أو وفق صورة تمنح النص وضع الإنتاجية ،وليس إعادة الإنتاج".[22] ليصل "بارت" إلى نتيجة مؤداها "أن النص ليس إلا نسيجا في حالة نسجه، أي في حالة تشابك الأنظمة والصيغ، إنه النسيج الذي يتموضع فيه الفاعل الناسج مثل العنكبوت"[23].

كما ينبغي أن يكون المفهوم الأساس لأي نص، أنه وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم للآخرين، فهو ينقل شيئا ما إلى المخاطب، وهو ليس هدفا في حد ذاته، إنما هو طريق للخطاب، إنه عبارة عن التوصيل اللغوي سواء أكان منطوقا أم مكتوبا، باعتباره رسالة وحسب، تتخذ صورة شفرات محددة في صورتها المسموعة أو المرئية. وذلك يوحي كما يقول الدكتور "محمد عناني" : "بأن الحديث عن النص معناه التركيز على اللغة".[24]ومن هنا تأتي أهمية دراسة النص لتطوير الاتصال. واللغة بهذا المفهوم لا تكون إلا نصا مهمته التوصيل. ويستحيل كما يشير "جون كوين jhon koyn" أن نوصل شيئا إذا لم يكن الخطاب مفهوما لقواعد الكلام، ومن هنا يكون الاتصال واقعا عن طريق النص، لا عن طريق الكلمة أو الجملة المجردتين من النصية[25].

5/مفهوم النص عند برينكر Brinker**، إيزنبرج** Izenberg" **وشتاينتز**SHteinits":

اختلفت مفاهيم النص تبعا لاختلاف مشارب أصحابها الفكرية، إلا أنّ هناك محاولات جادة سعت إلى التوفيق بين عامة هذه المفاهيم[26] ، حيث نجد أنّ تعريف النص قد احتلّ مساحة كبيرة عند المهتمين بلسانيات النص، حيث يذكر "برينكر " و"إيزنبرج " و"شتاينتز "و غيرهم، "أنّ النصّ تتابع مترابط من الجمل .ويستنتج من ذلك أنّ الجملة بوصفها جزءا صغيرا ترمز إلى النص .ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها أنها وحدة مستقلة".[27] وعلى هذا يكون النص مركّبا من عدّة جمل أو نصوص، مما يؤدّي إلى غموضه،أو انعدام الروابط أحيانا لاستقلال الجمل نسبيا على حدّ الاستنتاج السابق،فهذا التعريف كما هو واضح دائري، بمعنى أنه يوضّح النص بالجملة من خلال النص، كما أنه غير منهجي علميا لغموض الرموز والعلاقات التي يتضمنها اتساع الوصف، ومن ثم لا يمكن تطبيقه،لعدم وضوح الحد الفاصل بين الجملة والنص من ناحية، وإمكانية وصف الجمل على أنها وحدات مستقلة من ناحية ثانية. مما يجعلنا نؤكّد أنّ هذا التعريف يجعل النص وحدة أكبر من الجمل،أو توسع نطاق دراسة الجملة، لتصبح نصا.

6/ مفهوم النص عند كوزريوCOZERIU:

يحاول "كوزريو" أن يقدم الإجابة عن سؤال طرحه وهو: لماذا نحتاج إلى علم لغة يدرس النص؟ فيرى أن لسانيات النص ليس شيئا غير نظرية علم التأويل (التفسير)، وذلك باعتبار أنّ علة إنشاء هذا العلم تقوم على الحقيقة القائلة بأن الأمر يتعلق بالنص حول مستوى مستقل لما هو لغوي، لا يمكن أن يوضّحه مستوى الكلام بوجه عام.[28] وينشغل هنا بتحديد ما هو مختلف، وما هو مشترك، وبعلاقة ما هو لغوي، وما هو غير لغوي. وتأليف النص بلغة معينة، وبلغات مختلفة، وغير ذلك من صور التمييز التي تكشف عن

تعقّد كثير من مسائله، ويثير فكرة تستحق النظر والتأمّل؛ حيث يميّز بين قواعد النص الخاص ، وقواعد اللغة العامة التي كتب بها هذا النص.

ثانيا/ اتجاهات البحث في لسانيات النص: ظهرت اتجاهات عديدة في التحليل النصي من بينها:

1/تجزئة النص عند "هنري فاينريش H.Weinrish"، أو التجزئة النحوية للنص:

حيث حرص على تقديم فهم جديد في معالجة النص؛ إذ إنّه يراعي أوجه ترابط نحوي عدّة فيه، ولا ينشأ ذلك الترابط في حقيقة الأمر إلا على مستوى الجملة أولا، ثم ينتقل بعد ذلك إلى مستوى النص؛ حيث يمكن أن يتوازى المستويان، ويسهمان معا في تحديد البنية الكلية المتماسكة، فلا ينظر إلى الجملة باعتبارها جزءا مستقلا مفيدا، يمكن عزله عن بقية الأجزاء المكوّنة الكلية للنص؛ بل هي جزء مكمّل في حقيقة الأمر؛ غير أنّ الأجزاء الأخرى تشترك في فهمه على نحو أكثر معقولية، إنها لا تقدم إلا معلومة محدّدة، تسهم مع المعلومات الأخرى في تشكيل كمّ من المعلومات التي تنتظم بقوة في بنية واحدة، قد تكوّن موضوع النص، أو المعنى الكلي أو المغزى[29]. فقد عرّف النص بأنّه تكوين حتمي أجزاؤه ثابتة، بمعنى أنه وحدة كلية مترابطة الأجزاء، تتتابع الجمل فيها وفق نظام، وتسهم كل جملة في فهم ماتليها، كما تسهم المتقدمة في فهم المتأخرة، بحيث لا يتحقق المعنى من خلال معنى الأجزاء فحسب، بل من خلال معاني الأجزاء وتآزرها في بنية كلية كبرى. فإن "فاينريش" اعتمد في تحديد وحدة النص على مجموعة من السياقات الدلالية التي تتضافر معها لتكوين التماسك الكلي، وقد حاول أن يتجاوز حدّ الجملة في التحليل.

2/ اتّجاه نحوية النص أو أجرومية النص "لفندايك Van-dijk": فلقد بدأ ببيان أوجه عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدودها ، فالأمر بالنسبة له

و لغيره من علماء النص ،يمكن أن يتحدّد في أنه قد تحتّم بعد إدخال عناصر دلالية وتداولية على الوصف والتحليل اللغويين، و أن يتغيّر الإطار الأساسي الذي يضم الجملة؛ إذ إنّه لم يعد كافيا لاستيعاب العناصر السابقة، وبخاصة أنه لم يعد النظر إليها كوحدة أساسية للوصف النحوي؛ بل عدّ النص بأكمله على الرغم من الاختلاف الشديد حول مفهومه وحدة أساسية لا تستوجب تحوّلا كميا في المعايير كما يظن ذلك من أول وهلة؛ بل يرى أنّ هذا الإطار الموسّع يدفع إلى تغيير كيفي في إطار حرص "فانديك" على تكوينه، وقد ميّزه وخصّه بمصطلح "نحو النص" أو نحو الخطاب" أو"أجرومية النص"[30].

ويقول "فانديك van–dijk":"...يبدو في الواقع أنّ الخصائص الأكثر تمييزا للنصوص توجد أساسا في المستوى الدلالي، وكذا في المستوى التداولي"[31]،كما وصف هذه النصوص من خلال قواعد إرجاعية أو هياكل (تخطيطات) قاعدية، بوصفها متوالية من الجمل، بعض المتواليات مقبول وبعضها غير مقبول، كأن لا يكون وصفها قابلا للفهم[32]. فإنّ أغلب المعايير التي استخدمها في التحليل ترجع إلى النحو التحويلي التوليدي بشكل خاص؛ إذ نجد في معالجة الأشكال الدلالية الاستدلال، أو الإحلال، بالإضافة إلى المجاورة، والازدواج والتوازي والمشابهة وغير ذلك. ولا يقتصر هنا على عناصر دلالية ونحوية فقط؛ بل إنّه يدخل عملية التواصل والسياق وعناصر تداولية أخرى كثيرة، يرى أنه لا يمكن الاستغناء عنها لفهم النص وتفسيره[33]،

ووصفت محاولات "فان دايك" بوجه عام بأنها محاولات متقدمة إلى حد بعيد في شرح عمليات الترابط النحوي بين المتواليات النصية، والتماسك الدلالي بين الأبنية النصية الكبرى، كما حدّد هذا العلم من الناحية الوظيفية بأنه "علم يفي بشرح كيفية قيام النص بوظائفه، أي تحليل الخواص المعرفية العامة التي تجعل من الممكن إنتاج

البنيات النصية المعقدة في مرحلة الأداء وإعادة إنتاجها بالفهم في مرحلة التلقي"[34]. فإنّ "فانديك" لا ينطلق من أنموذج نحوي صارم للنص على الرغم من إصراره على أن منهجه يدخل تحت ما يسمى بنحوية النص، وذلك لأنّه يوسّع من إطار النحو ليضم مفاهيم أخرى، تتيح له تجاوز الأطر الضيّقة التي تعجز عن تفسير دقيق للنصوص، وتقتصر على السّلامة النحوية، بوصفها هدفا نهائيا، وقد مكّنته تلك الرؤية الموسّعة من الإلمام إلى حدّ كبير بجوانب كثيرة يضمّها النص أو الخطاب، فيبحث "فانديك" عن بنية كلية دلالية مجرّدة، تمكّنه من اختزال عدد غير محدود من المعلومات التي تقدّمها المتواليات الجملية، ويشكّل الحدس المعيار في مثل هذه العملية، ويحاول أن يقدّم أنموذجا يضم مجموعة من الإجراءات التي يسلكها القارئ لبناء هذه الأبنية، ويؤكّد في أكثر من موضوع أنّ مجموع المتواليات التي لا تضم بنية كلية ،أو لا يمكن للقارئ أن يتوصّل إليها أثناء عملية التلقي، تعدّ غير مقبولة في السياقات التواصلية[35].

3/ اتجاه التحليل التوليدي للنّص أو التحليل النّحوي الدلالي للنص عند "بيتوفي" "Petovi"؛ حيث حاول تقديم عدة أشكال للوصف والتحليل النصيين، وحرص فيها على ضم أهم المكوّنات التي تتعامل مع النص تعاملا مباشرا، غيرأنّه رأى ضرورة انطلاق أية نظرية تتعامل مع النص من رؤية جوهرية واضحة، تعدّ النص وحدة كلية وليس دون ذلك، ورأى أيضا –في الوقت ذاته– أن تكون النظرية نحوية الأساس، وهو متأثر في ذلك بـ "تشومسكي". إلا أنّ للمكوّن والتفسير الدلاليين وظائف مميزة، ويشبه تصوّره ذلك تصوّر أصحاب نظريات الدلالة التوليدية؛ غير أنّ أنموذجه لابدّ أن يوضّح كفاءات المتحدّثين والمستمعين في الوقت ذاته؛ أي كيف يبدأ المتحدّث من المعنى، ويصوغ المتتابعات الجملية المتضمنة له في وحدة مترابطة، ثم كيف تمضي هذه

التتابعات، ليرتدّ إلى المعنى تارة أخرى، فأنموذجه لا يكتفي بأن يضمّ عناصر دلالية فحسب؛ بل يضمّ إليها عناصر تداولية أيضا[36].

ويحاول "بيتوفي" "Petovi" أن يحقق توازنا معقدا بين عالم واقعي فعلي يطلق عليه بنية العالم، وعالم إبداعي تحقق في بنية النص. ويرى في إطار ذلك التصوّر أنّه لا يكفي في تحليل هذا العمل الإبداعي (النص) الكشف عن العلاقات الداخلية التي تمتد داخل النص، وتظهر في معانيه الأساسية ومعاني أبنيته فحسب؛ بل يجب أن يتّسع ذلك التحليل ليضم تلك المعاني الخارجية له، تلك المعاني التي يحيل إليها النص وهو ما يطلق عليه المعاني الإضافية، أو الإشارية أو الإحالية، أو التداولية وغيرها[37].

ويرى أنّ التصوّرات التي خرجت عن تصوّرات الأساس لـ"تشومسكي" تتّفق في عدد من الملامح المشتركة، غير أنّ أكثرها رسوخا ولفتا للأنظار يمكن أن يتمثّل في عزو أهمية أكبر للتمثيل الدّلالي، في مقابل عملية التفسير التي أسندت إلى المكوّن الدلالي في النظرية التحويلية الكلاسيكية. فقد بنيت على ذلك الأساس النظري؛ حيث يمكن التغلب على الاختلاف بين مكوّنات الأنموذج من الناحية الاتصالية، ولم يستبعد ذلك التصور أيضا إمكانية التوليد بمفهوم رياضي. ويذهب إلى أنّ المقام ليس مقام مفاضلة بين نحو الجملة ونحو النص، فلكلّ حدوده وأهدافه ووسائله، ولذا لا يجد ما يسوّغ التساؤل؛ أي أنموذج من الأنموذجين (أنموذج تشومسكي، أنموذج التوليديين) أكثر سلامة لوصف الجملة؟ بيد أنّ الاختلاف في الرأي يعكس الحقيقة القائلة بأنّه يمكن أن تتولد الأبنية النحوية على نحو اتصالي غير متغاير.

تفهم لسانيات النص على "أنّها نظرية وتطبيق في مجال إعادة التكوين العلمي للنصوص"[38]، وأن موضوع علم النص هو الدلالة الكلية للنص، وهي تنجم عنه بوصفه بنية كبرى شاملة[39].

كما يبحث "بتوفي" "Petovi" عن أنموذج يتحقق من عناصر الاتصال؛ بحيث يمكن أن تلاحظ عملية التفاعل بين النص والمتحدث من جهة، ثم بين النص والمستمع من جهة أخرى، ولا ينبغي أن نربط بين التآليف وإنتاج النص، وبين التحليل وتلقي النص. فكلتا العمليتان تقعان لدى المتحدث في مرحلة، ثم لدى المستمع في مرحلة أخرى، ولذلك نراه يوجّه نقدا إلى أنموذج التحويليين الذين راعوا المتحدث في المقام الأول [40]، والحق أنه لم يقدم جديدا فيما يتعلق بأوجه النقد التي وجهت إلى النظرية التحويلية؛ إذ إنّ محدودية الوصف الجملي قد اتّضحت إلى حدّ كبير من خلال كثير من التساؤلات التي صدرت عن علماء النص، ومن قبلهم علماء اللغة؛ غير أنّه يسعى إلى طرح عدة أشكال وصفية تتجاوز الطرق التقليدية[41]، ولا يعني ذلك أن "بتوفي" "Petovi" قد التزم بهذا الاتجاه؛ إذ إننا نجده يعرض عن ذلك النهج، ويسلك دروبا متباينة مما يؤكّد أنّ الوصف والتحليل النصيين لم يستقرا بعد لدى أكبر علماء النص. فقد نتج عن اتساع إطار الوصف عدد كبير من المشكلات التي يحاولون التغلب عليها، ولكنّها تستعصي عليهم؛ إذ لا يزال أكثرها مطروحا للنقاش والنقد والجدل.

نلاحظ مما سبق أنّ المنظرين ينقسمون إلى ثلاثة أقسام في النظر إلى النص، حيث تذهب جماعة منهم إلى تعريفه مباشرة من خلال مكوناته، يمثلهم "تودوروفTodorove"، "فإن مفهوم النص لا يتموضع في نفس المستوى مع مفهوم الجملة أو العبارة أو المركب ....الخ ، وبهذا المعنى يجب تمييز النص عن الفقرة التي تمثل وحدة مطبعية لعدد من الجمل .يمكن أن يكون النص جملة ، كما يمكن أن يكون كتابا بأكمله . إن أهم ما يحدده هو استقلاليته وانغلاقه...". فالنص في رأيه نظام تضميني، نستطيع التمييز بين مكوناته على ثلاثة أوجه: ملفوظي و نحوي ودلالي، وهو يوازي النظام اللغوي ويتداخل معه. وقسم ثان يعرفه من خلال ارتباطه بالإنتاج

الأدبي، ويمثله "رولان بارت" الذي وجد عند "جوليا كريستيفا" تعريفا جامعا أو أصوليا، فالنص: آلة نقل لساني ، يعيد توزيع نظام اللغة، فيضع الكلام التواصلي ،أي المعلومات المباشرة في علاقة تشترك فيها ملفوظات سابقة، أو متزامنة ومختلفة[42]. ويذهب قسم ثالث إلى ربطه بفعل الكتابة يمثله "بول ريكور Pool Rychor "وهو منظور إيصالي، فالنص هو كل خطاب تثبته الكتابة، إذ هو أداء لساني وإنجاز لغوي يقوم به فرد معين[43].

فالنص عند الغرب نسيج من العلاقات اللغوية المركبة التي تتجاوز حدود الجملة بالمعنى النحوي للإفادة.

ومن خلال ما سبق، نلاحظ أنّ مفاهيم النّص قد اختلفت باختلاف التوجّهات المعرفية والنظرية والمنهجية، واختلاف تصوّرات ومنطلقات كل باحث، فلا نجد للنّص تعريفا يعرف به عدد من الباحثين في اتجاهات لسانيات النّص بشكل مطلق، لأنّها اعتبرت فرعا علميا متداخل الاختصاصات من جهة، كما اعتبرت علما يركّز على النّصوص في ذاتها وعلى أشكالها وقواعدها، ووظائفها وتأثيراتها المتباينة من جهة أخرى، إنّها تعريفات تميل كلها إلى خلق حالة منسجمة من النظام والتشاكل والتماثل بين مختلف المستويات الصوتية والصرفية ،والنحوية والدلالية للنص.

الهوامش:

---

[1] ينظر: حسين خمري ، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدال، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 2007، ص 35.

[2]ينظر : فاضل ثامر، اللغة الثانية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1994، ص 72.

(3)ينظر: سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، لبنان، 2001، ص22.

[4]ينظر :المرجع نفسه، ص 43.

[5]ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[6] جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، ط2 ،ا لمغرب، 1997، ص13.

[7]ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب اللبناني المصري، بيروت / القاهرة، 2004.ص 229.

[8]فانديك ، النص بنياته ووظائفه "مدخل أولي إلى علم النص"، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، دط، الدار البيضاء، 1996، ص54.

[9] ينظر: صلاح فضل ، مرجع سابق ،ص 229.

[10]ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت،1991، ص 88.

[11]ينظر : فولفجانج هاينه من و ديتر فيهيفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، دط،الرياض، 1998، ص48.

[12]ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، ص 247.

[13]Halliday. M.A.K and ROUQUOYA HASSAN, cohesion in English, Longman, London, p:1 2.

[14]Ibid,p: 10- 11.

[15] ينظر: محمد عزام، النص الغائب تجلّيات التناص في الشعر العربي، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 14.

[16]رولان بارت، لذة النص، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط2 سوريا، 2002، ص 34.

[17]المرجع نفسه، ص 35.

[18]المرجع نفسه ، ص ن.

[19]ينظر: عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد النظرية و بناء أخرى، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2004، ص 32.

[20]رولان بارت، مرجع سابق، ص 33.

[21]ينظر: عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، دط، الجزائر، 2007، ص 47.

[22]رولان بارت، مرجع سابق ، ص34-35.

[23]المرجع نفسه، ص ن.

[24] محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، لونجمان، دط ، القاهرة،1997، ص 112.

[25]ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، دط ، القاهرة ، 2001، ص 21.

[26]ينظر: عبد العاطي كيوان، التناص القرآني في شعر أمل دنقل، مكتبة النهضة المصرية، ط1 ،القاهرة، 1998، ص17.

[27]برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية (دراسة الأسلوب ، البلاغة ، علم اللغة النصي)، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ط 1،القاهرة،1987، ص 188.

(28)ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون ،ط1،بيروت ،1997، ص 33.

(29)ينظر: المرجع نفسه، ص 191.

(30)ينظر: المرجع نفسه، ص 218.

(31) فانديك، النص بنياته ووظائفه "مدخل أولي إلى علم النص"، ترجمة محمد العمري، دط ، إفريقيا الشرق، 1996، ص 55.

(32)ينظر: المرجع نفسه، ص 51.

(33)ينظر :سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والإتجاهات، ص 220.

(34)المرجع نفسه ، ص ن.

(35)ينظر: المرجع نفسه، ص 248.

(36) ينظ: المرجع نفسه، ص 267.

(37) ينظر: المرجع نفسه ، ص ن.

(38)ينظر: ميخائيل باختين، مسألة النص، ترجمة محمد علي مقلد، مجلة الفكر العربي المعاصر ،ع33 ، 1988، ص41.

(39)ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 107.

(40) ينظر :سعيد حسن بحيري ، مرجع سابق، ص 261.

(41) ينظر: المرجع نفسه، ص 266.

[42] ينظر: فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2003، ص 38.

[43]ينظر: منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق ، 2003، ص 38.